سلسلة ترجمات.....
أركماني

مقالات أبحاث... و تقارير

CAPITALISM...

WAR AND PLUNDER IN THE HORN OF AFRICA

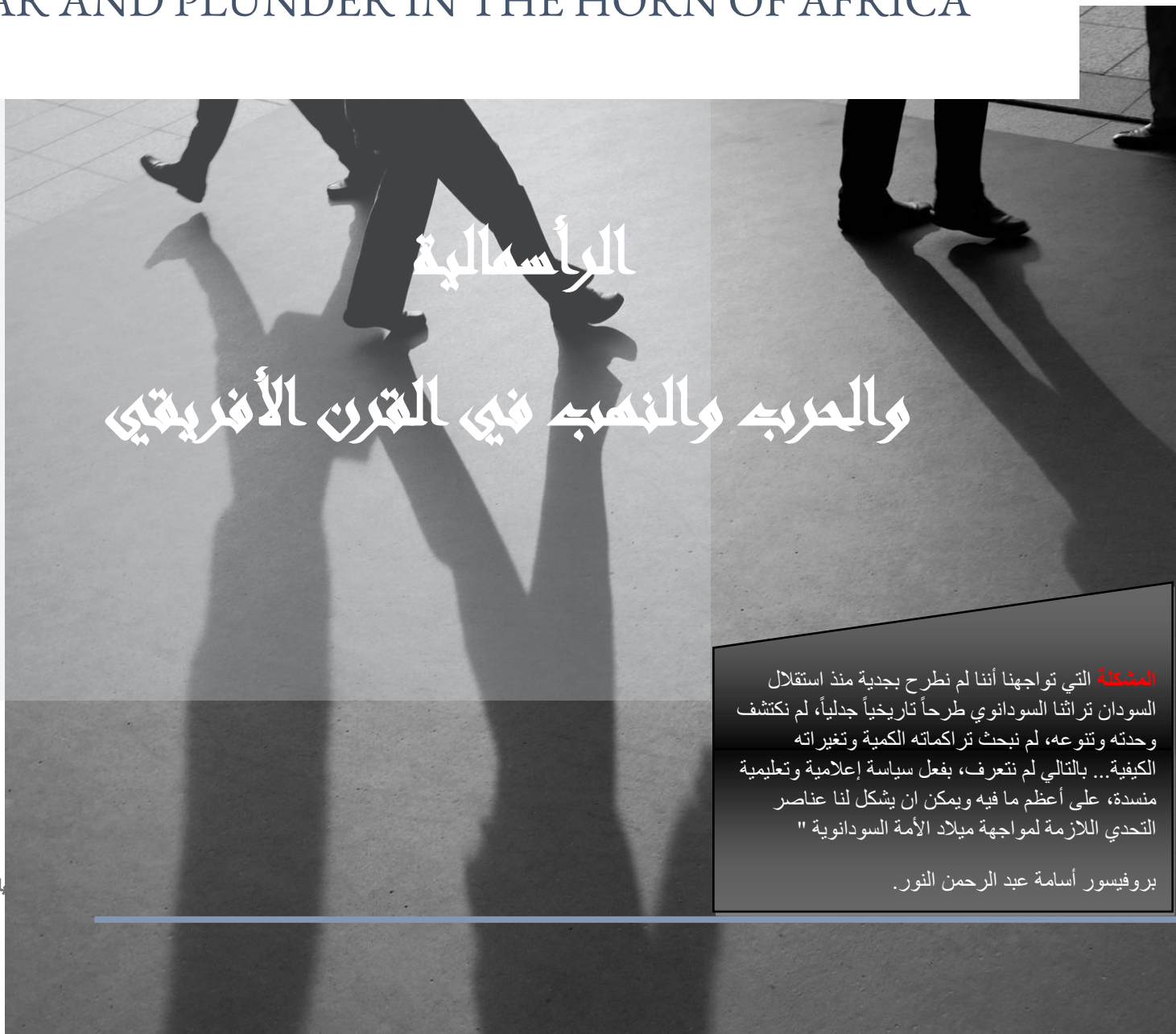

الرأسمالية
والحرب والنهب في القرن الأفريقي

المشكلة التي تواجهنا أننا لم نطرح بجدية منذ استقلال السودان تراثنا السودانوي طرحاً تاريخياً جدلياً، لم نكتشف وحدته وتنوعه، لم نبحث تراكماته الكمية وتغيراته الكيفية... بالتالي لم نتعرف، بفعل سياسة إعلامية وتعليمية منسدة، على أعظم ما فيه ويمكن ان يشكل لنا عناصر التحدي اللازمة لمواجهة ميلاد الأمة السودانوية "

بروفيسور أسامة عبد الرحمن النور.

بوابة الدخول

تمهيد سلسلة ترجمات أركماني:

من الضروري قراءة الراهن بشكل متأني لوجهات نظر من الضفة الأخرى في تحاليل الباحثين و المراقبين و المهتمين و ترجمة الاعمال التي تناقش الازمة السودانية في ربط لمستجدات عصر ما بعد العولمة، فكما قال السياسي كيلي لويس مدللا على أهمية الترجمة "تدين أوروبا الغربية بحضارتها للمترجمين" و نقتبس عن عبداللطيف فرحان الكاتب السوري مفهومه الكتابة بإنها "ليست إخفاء موقف بل إخفاء قيمة معرفية" من هنا تواصل سلسلة ترجماتنا في منهجية دراساتٍ أركاماني في ربط لأركيولوجية الماضي بانثربولوجية الحاضر لرفد مكتبتنا السودانية بمزيدا من المعرفة، مساهمة للتعمق للعقل الباحث الناقد لتفهم أزمة الصراع الثقافي و السياسي الاجتماعي و الاقتصادي الذي تعاني منه الدولة السودانية لتستقر باشواق الحاضر و تسمو بأحلام المستقبل، لكن لن يتحقق هذا في غياب معايير و أسس للقياس و المقارنة لتفحّص التجارب. وهو ما سعت أركاماني في رؤيتها ببحثها في تاريخ التكوين القديم كركيزة لتفهم عقل انفصامي تخلّق بالياته ممنهجة مشوّهة لعلاقة الفرد بمكانه و إرتباط وجدانه بالزمان، هكذا ستواصل سلسة ترجمات أركاماني لتغطية الابحاث والتقارير التي تناولت أزمة السودانوية بمدلاتٍ او هفواتٍ نخبتها في جمودهم لبناء واجهته العديد من التحديات الصعبة و عانى ما عاناه من غطرسة و عنفه الدولة الشمولية أحادية النظرة لدولة المواطنة متعددة الثقافات و الاعراق.

عن ناشر المقال المترجم:

منذ عام 1974، قدمت مجلة " استعراض للاقتصاد السياسي الأفريقي" تحليلاً جذريًا للاتجاهات والقضايا والعمليات الاجتماعية في أفريقيا، واعتمدت تفسيرًا ماديًا واسع النطاق للتغيير. تأسست المجلة على يد مجموعة من العلماء والناشطين في المملكة المتحدة وإفريقيا، وهي ملتزمة بفهم مشاريع التحول الجذري. من المحاولات التي قادتها الدولة للتحول السياسي في تنزانيا إلى موجة الاستقلال اللاحقة في موزمبيق وأنغولا. سعت المجلة إلى تحليل التناقضات والإمكانات وديناميكية الطبقة الناشئة في هذه البلدان. وفي وقت لاحق، في الثمانينيات، ركزت المجلة على فهم تطور الحركات الاحتجاجية وطبيعة الصراع الطبقي في سياق التكيف الهيكلي الذي كان يمزق الصرح الهش للدول الوطنية. ومع تطور القارة في التسعينيات والعقد الأول من القرن الحادي والعشرين، واصلنا التركيز على أنماط وعمليات التراكم - المحلية والوطنية - مع فحص الطبقة والجنس والعرق كتجليات لإشكال من الاستغلال والسيطرة والتبعية.

المقال باللغة الانجليزية :

نشر بتاريخ 23 نوفمبر 2023:

لينك المقال باللغة الانجليزية:

https://roape.net/2023/11/23/capitalism-war-and-plunder-in-the-horn-of-africa/

ذكر حوتك حداك..غالطني الزمن فيك.. همريه على الجفاف وعداك بطاقاتنا الحريفة رجع ناسي الكلام مليان

وداديتك .أقيفي معاي نهيل كتفه الغنا العتيل..ونتحيل حلو حدوتك بيتحقق

ما كان الكسرة جاتك من برة صغيرا ومنكسرة زوجناك الهمدا ولّد الكد الماتو عدان الهجيب زوجناك ما عندك خبرة وما إنداف ماعوينك في الحلة يساعق ويلقى فتاتك...جبل الهمس واقفة على بابه الدخول بيناتو بين الوصول ...لمحطة هسيق

الرأسمالية والحرب والنهب في القرن الأفريقي

تمهيد الناشر:

في ورقتهم العلمية (مرفق) كتب دوفيلد *Mark Duffield* و ستوكتون *Nicholas Stockton* عن النمو المذهل في صادرات الماشية من القرن الأفريقي إلى دول الخليج التي تشهد تمددا معماري و سكاني عن الكيفية التي حولت الليبرالية الجديدة *Neoliberalism* [1] العلاقة السابقة بين "المزارعين" و"الرعاة" و التي كانت مستندة سابقا على أسس العلاقة التبادلية *Reciprocity*[2] إلى علاقة حرب دائمة. وإستنادًا إلى ورقتهم العلمية المنشورة "مجانا"، خلصوا فيها حسب بحثهم بأن الأزمة اليوم في القرن الأفريقي متجذرة في الكيفية التي يتم بها نهب ثروات شعوبها على المستوى الدولي.

هوامش الترجمة:

[1] Neoliberalism:
النيوليبرالية، أو الليبرالية الجديدة ، مصطلح يستخدم للدلالة على عودة ظهور أفكار سياسية في أواخر القرن العشرين لأفكار القرن التاسع عشر المرتبطة برأسمالية السوق الحرة، والتي كانت قد تراجعت بعد الحرب العالمية الثانية. وهو كتوجه كان عاملا بارزا في الغالب في صعود التنظيمات المحافظة واليمين التحرري، والأحزاب السياسية، ومراكز الفكر التي تدافع عن هذه الافكار المرتبطة برأسمالية السوق، وترتبط عمومًا بسياسات التحرير الاقتصادي، بما في ذلك الخصخصة، وإلغاء القيود التنظيميةDeregulation (اي تقليل اللوائح او إزالة قوانين وضوابط الدولة) ، والعولمة Globalization، والتجارة الحرة Free Trade ، والسياسة النقدية Monetarization ، والتقشف Austerity. وتخفيض الإنفاق الحكومي بهدف زيادة دور القطاع الخاص في الاقتصاد والمجتمع.

[2] Reciprocity:
تعد التبادلية (قد تترجم ايضا للمعاملة بالمثل) تعتبر جانبًا حاسمًا في كيفية تفاعل الناس وعيشهم في مجتمعاتهم، لكن غالبا ما يتجاهل الباحثين الذين يدرسون هذه التفاعلات أهميتها. يعود تاريخ المعاملة بالمثل أو "التبادلية" إلى زمن حمورابي (حوالي 1792-1750 قبل الميلاد).

و كمبدأ أساسي في علم النفس الاجتماعي، تدور التبادلية، حول مفهوم أن الأفراد يميلون إلى الاستجابة لأفعال الآخرين بطريقة تعكس الطبيعة الإيجابية أو السلبية لتلك الأفعال. أما في علم النفس الاجتماعي، فهي قاعدة إجتماعية للرد على فعل إيجابي بعمل إيجابي آخر، ومكافأة الأفعال الطيبة. تتيح التبادلية بناء علاقات مستدامة ومستمرة مع التعاملات النفعية المتبادلة. يقول فوكوياما Francis Fukuyama (مؤلف كتاب نهاية التاريخ): " لكي تعمل المؤسسات الديمقراطية والرأسمالية بشكل صحيح، فيجب عليها أن تتعايش ضمن عادات ثقافية موجودة لما قبل الحداثة (السابقة للثورة الصناعية في اوروبا) " ويمضي في القول: "القانون والعقد والعقلانية الاقتصادية والازدهار.... والالتزام الأخلاقي، والواجب تجاه المجتمع، والثقة يجب أيضًا أن تكون مختمرة في علاقات التبادلية".

ومن محتوى البحث للباحثين يبدو ان الاشارة هنا للعلاقات التبادلية السابقة في بين المجتمعات الرعوية و الزراعية لم يتم فيها مراعاة توصيات اساسايات الدولة المدنية الحديثة الديموقراطية الراسمالية بل و نتيجة للاستخراج العنيف قامت على النقيض و لصيغة العلاقة المشوهة ساهمت في تشويه العلاقة التبادلية بين المجتمعات المحلية لتنتج علاقات عنف كقيمة بديلة. المترجم

ملخص المؤلفين مارك و نيكولاس لبحثهم:

سيتم نشر الترجمة الكاملة للبحث.

مع إحتدام الحرب الأهلية في السودان، إكتسبت الترتيبات الخاصة في *COP28*[3] لإجتماعات مؤتمر المناخ في ديسمبر 2023 بالإمارات العربية زخماً كبيراً، و إذا كان الربط هنا بين الحرب و مؤتمر المناخ، فهو بالتأكيد ليس التغير المناخي. علما بإن دول الخليج تعاني من انعدام مزمن في أمنها الغذائي و قبيل جائحة كوفيد، لمزيد من التوضيح، وفر كلا من السودان والصومال 90% من البروتين الحيواني المستهلك في دول الخليج. وقد تكون النسبة أقل من هذه النسبة، إلا أن قيمة تجارة التصدير هذه بلغت في ذروتها 1.4 مليار دولار سنويًا وهو إنجاز إقتصادي رائع بالنسبة لدولتين فقيرتين أهلكتهما الحروب.

و الملفت في هذه الزيادة لصادرات الماشية، وخاصة الأغنام/الخرفان، تزامنها مع التوسع الحضري السريع في دول الخليج منذ السبعينات، فهذه الأرقام التجارية المتزايدة تناقض واقع الأزمة المتفاقمة والصراعات بين المجتمعات الزراعية والرعوية في كلا البلدين، فخلف البيانات الإحصائية و قيمها النقدية تختفي معالم انتشار ظاهرة ما يمكن تسميتها إصطلاحا بـ "المزرعة العسكرية".

[3] Conference of the Parties COP:
مؤتمر الأطراف هو الهيئة العليا لاتخاذ القرار في الاتفاقية. يتم تمثيل جميع الدول الأطراف في الاتفاقية في مؤتمر الأطراف، حيث تستعرض هذه الدول تنفيذ الاتفاقية وأي صكوك قانونية أخرى يعتمدها مؤتمر الأطراف وتتخذ القرارات اللازمة لتعزيز التنفيذ الفعال للاتفاقية، بما في ذلك الترتيبات المؤسسية والإدارية.

وفي خضم تحليل هذه الظاهرة المتنامية نلاحظ إرتباط الإقتصاد الإستخراجي العنيف *Extractive Economy*[4] العابر للحدود الوطنية بين الخليج ودول القرن الأفريقي، فإن وضعنا العلاقة بين وهم التحضر الناتج عن نمو إقتصادي سريع من عائدات البترول للإمارات في الحسبان ربطا بحلقة آخذة في الاتساع من الفقر المدمر و البؤس في الصومال والسودان فيمكننا وصفها بأنها علاقة سامة و يبدو أنها ستتعمق.

هنالك العديد من الأسباب التي تجعل الدمار الاجتماعي والبيئي الذي تسببه تجارة الماشية مخفياً، ففي عالم الليبرالية الموازي مثلا، هناك نزوع وإن كان إنتقائيا، لتفسير خامة العنف بالإستناد على إنتهاكه لحقوق الإنسان وما يترتب عليه من خلق لكوارث إنسانية ليتم تناول العنف نفسه من حيث آثاره الأخلاقية والإجتماعية فقط، مثالا على ذلك؛ عادة إختلاق معضلات وتحديات أخلاقية و من ثمّ يتم تسليط الضوء على القضايا السياسية المتعلقة بالحقوق، والإحتياجات الإنسانية، والمسؤولية لتوفير الحماية. لكن، هذا الرأي ينحو إلى إخفاء حقيقة ما تمثله الحروب و العنف الحربي للرأسمالية، فالحرب والعنف الحربي يمثلان علاقة إقتصادية نشطة وأساسية. فمنذ سبعينيات القرن العشرين، عانت منطقة القرن الأفريقي من حروب أهلية شاملة.

هوامش الترجمة:

[4] Extractivism (Extractive Economy):

الاستخراجية: هي إستخلاص الموارد الطبيعية خاصة لاغراض التصدير مع الحد الأدنى من المعالجة و تصديرها في شكلها شبه الخام. هذا النموذج الاقتصادي شائع في جميع أنحاء الجنوب العالمي Global South ومنطقة القطب الشمالي، ولكنه يحدث أيضًا في بعض مناطق في الشمال العالمي التي تم التضحية بها، كما هو الحال في الاستخراجية الأوروبية. تمت صياغة المفهوم باللغة البرتغالية باسم "الاستخراجية" في عام 1996 لوصف الاستغلال من أجل الربح باستخراج الموارد من الغابات في البرازيل. و من احد الانتقادات تعليق النائب السابق لرئيس بوليفيا بان الاستخراج ضروري لكن يجب ان ينعكس في نمط الانتاج على العمالة المحلية بشكل عام " تتمتع جميع المجتمعات وأنماط الإنتاج بهذه المستويات المختلفة من معالجة "المواد الخام" بطريقتها الخاصة. إذا تصورنا "الاستخراجية" على أنها النشاط الذي يستخرج فقط المواد الخام (المتجددة أو غير المتجددة)، دون إدخال مزيد من التحول في نشاط العمل، فإن جميع المجتمعات في العالم، الرأسمالية وغير الرأسمالية، ستتحول الى دول استخراجية بدرجات متفاوتة".

و استسرسالا في التوضيح يتم استخدام مصطلح المناطق التي تم التضحية بها لوصف المناطق التي انتشرت في الشمال العالمي الصناعي (اوروبا كمثال) وهي مقرونة بالتلوثات البيئية الناجمة عن مخلفات هذه الصناعات في مناطق التصنيع. مثال جيد على هذا الصناعات البتروكيماوية و تاثيرها على اتجاهات الرياح بخلق موجات ساخنة و اثرها البيئي السلبي على الصحة.

و من أحد العوامل المهمة للتضحية بمكان ما ليتم لاحقا تصنيفها كمناطق تضحية هو غياب التنظيم الحكومي المناسب والاغلب نتيجة لغياب المعلومات او العجز في الوصول اليها من قبل الأشخاص الذين يعيشون بتلك المناطق عن التلوث الذي يسمم مجتمعاتهم او عدم القدرة على الضغط على صناع القرار باتخاذ خطوات للمعالجة. و خير وصف لهذا في وصف الباحث البيئي الشهير دكتور بولارد Dr. Robert Bullard "البشرة الخاطئة للحماية" في اشارة لمناطق اهملت في الولايات المتحدة لتلميح بالعنصرية. للمزيد عن المصطلح:

https://www.climaterealityproject.org/sacrifice-zones#:~:text=How%20do%20places%20become%20sacrifice,policymakers%20do%20something%20about%20it.

وظل المنظور الليبرالي قاصرا في تحليله لهذه الحرب الدائمة عارضا إياها على أنها وفي أساسها نتاج سلسلة من الكوارث الإنسانية "الطبيعية" بالرغم من أن تدهور التنمية نتيجة العنف في الصومال أولاً، والآن في السودان، يشكلان بلا شك مآسي لا تشوبها شائبة، الا أن هذا القصور للمنظور الليبرالي يحجب أو يشوش على إكتشاف العملية النشطة وراء إرتفاع صادرات الماشية والفوضى المتفاقمة والنزوح والمعاناة الإنسانية التي نشهدها اليوم نتيجة ذلك و تعتبر المزرعة العسكرية، التي تشمل تربية الأغنام[5] في المقام الأول، و هو نمط إنتاج مدمر[6] *Destructive mode of Production* إجتماعيًا وبيئيًا، لان ضرورات النشاط نفسها توسعية ومتعطشة للأراضي وتدمر من أجل توسعها هذا سبل العيش وتهجر السكان.

ومع استمرار العنف، فان هذا المنتج الربحي في منطقة كانت تهيمن عليها في السابق اقتصاديات الكفاف الزراعية والرعوية، حيث تكون فيها متغيرات ملكية الماشية وتربيتها وتصديرها عائدة إلى الأساس الاجتماعي، إلا أن سرعة النمو في صادرات الماشية لم تجتذب سوى القليل من الإهتمام الخارجي على الرغم من كونها في قلب

هوامش الترجمة:

[5] Sheep:

و يقصد بها الخراف و الاغنام و الماعز و هي من التسميات التي قد تربك القارئ في التمييز لكن المقصود بها بشكل عام كل الانواع مع ادراكنا بان مفهوم صادر مرتبط بالخراف عندنا لكن في العديد من باديتنا في السودان يتم استخدام اسم الغنم لكلاهما.

[6] Destructive Mode of Production:

في النظرية الماركسية عن المادية التاريخية، فإن نمط الإنتاج "طريقة الإنتاج" هو مزيج محدد من:

القوى الإنتاجية: وتشمل قوة العمل البشرية ووسائل الإنتاج (الأدوات، الآلات، مباني المصانع، البنية التحتية، المعرفة التقنية، المواد الخام، النباتات، الحيوانات، الأراضي القابلة للاستغلال).

علاقات الإنتاج الاجتماعية والفنية: وتشمل علاقات الملكية والسلطة والسيطرة (القانون) الذي يحكم وسائل إنتاج المجتمع، وجمعيات العمل التعاونية، والعلاقات بين الناس وأشياء عملهم، والعلاقات بين الطبقات الاجتماعية.

والمفهوم السابق لنظرية المادية التريخية في تأطير نمط الانتاج هو أسلوب العيش "Modes of Subsistence" الذي وضعه آدم سميثAdam Smith ، والذي حدد تطور أنواع المجتمع بناءً على كيفية قيام مواطني المجتمع بتوفير احتياجاتهم المادية. حيث ان هناك أربعة طرق رئيسية للمعيشة تم استخدامها عبر تاريخ البشرية منوجهة نظر سميث: الصيد، والرعي، وزراعة النباتات، والتصنيع/ما بعد الصناعة.

ولتبسيط السردية لدى الباحثين لهذه الورقة فيمكننا ان نقرأ مساهمات الانثربولوجي الشهير David Graeber و الذي ساهم مساهمات مهمة في علم الانثربولجي الاقتصادي. وقد أفتى باستخدام اصطلاح Destructive mode of Production: في ربط نمط الانتاج بالعنف موضحا بان عنف الشركات الكبرى كمثال لا يقتصر فقط على الفشل التنظيمي، أو سوء الممارسة الإدارية، أو قوى الطبيعة. وبدلا من ذلك، فإنه يشير إلى عنف من نوع أكثر منهجية، والذي يسير جنبا إلى جنب مع السعي لتحقيق النمو الإقتصادي، والسعي وراء أرباح الشركات والرأسمالية. لا يكون هذا العنف دائمًا مرئيًا على الفور وقد تستغرق عواقبه سنوات أو حتى عقودًا لتتكشف. لكنها رغم ذلك مدمرة .

الإقتصاد السياسي للقرن الأفريقي، و قد أدت عمليات تطهير الأراضي العنيفة وسرقة الماشية والرعي المسلح إلى تدمير فرص الحياة في مساحات شاسعة من الأراضي إلى درجة أكبر بكثير من أي شكل آخر من أشكال التسليع[7]. *(Commodification)*، و تجسد هذه التغيرات الرعب الناجم من توسع حدود الحوجة الغذائية في الخليج والمأساة الإنسانية التي تخلفها ليس فقط في الصومال والسودان، بل أيضاً في عدد متزايد من البلدان المجاورة.

ويمكن تقسيم الإقتصاديات الزراعية الرعوية القديمة في الصومال والسودان، مع المخاطرة في تبسيط هذا التقسيم، إلى "رعاة" متنقلين و"مزارعين" مستقرين، حيث تم التفاوض تاريخيًا أثناء التنقل الموسمي للرعاة لمسافات طويلة مع المزارعين لتحقيق أقصى إستفادة من مخلفات المحاصيل والسماح بالمقايضة وبيع الماشية والحليب والمحاصيل والحرف اليدوية والخدمات، وبالطبع إمكانية تطور الاحتكاك بينهم واردة فعلى سبيل المثال عندما تضل الحيوانات إلى الحقول أو تقوم مجموعة بسرقة ماشية، كانت هناك عادة عمليات تعويضية للحفاظ على نظام تبادل المنفعة بين المجتمعات المستقرة وشبه الرحل، والواقع أن مثل هذه التبادلية كانت تكمن في قلب الاكتفاء الذاتي الريفي لنمط إنتاجي أساسي.

لكن خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين، أدى التحول من نمط الإنتاج المعيشي إلى نمط الإنتاج التجاري إلى تكثيف الصراعات على المياه والأراضي بين المزارعين والرعاة ، حيث دفع التصحر بالرعاة جنوبا، وبينما توصف الصراعات في كثير من الأحيان بأنها صراع بين "البانتو مقابل الصوماليين" أو "الأفارقة مقابل العرب" في حالة السودان، فإن الشكل المتزايد لهذه التبادلات المسلحة كانت في الواقع نتاج التحول في نمطي انتاج متكاملين تاريخياً، من الاعتماد على الذات في المناطق الريفية، في

هوامش الترجمة:

[7] Commodification: التسليع

التسليع في النظام الرأسمالي هو إجراء وعملية تحويل الخدمات أو الأفكار أو الطبيعة أو المعلومات الشخصية أو الأشخاص أو الحيوانات إلى سلع. السلعة في أبسط صورها، وفقًا لأرجون أبادوراي، هي السلع والخدمات والمواد المعدة للتبادل أو ذات قيمة اقتصادية. السلعة هي سلعة مادية مثل برميل النفط، أو جوال القمح، التي لها قيمة اقتصادية بغض النظر عمن ينتجها. لكن قد تشمل المفاهيم التي تم الجدل حول كونها امست مسلعة عناصر واسعة مثل الجسد، أوالحميمية، والممتلكات العامة، والحيوانات، والعطلات. تظهر وسائل الإعلام بشكل متزايد على أنها القوة الدافعة للتسليع كما يظهر في تسليع الثقافة. و تعد الثقافة الأمريكية مثالاً جيدا على هذا الشكل من التسليع، حيث يتم اختيار التصرفات اليومية للمجتمع من قبل منظمات النخبة، وإعادة تجميعها، وتوزيعها داخل حدودها وخارجها، من أجل الربح. تعد وسائل الإعلام، بما في ذلك الإعلانات والأفلام والتلفزيون والراديو ووسائل التواصل الاجتماعي وموسيقى البوب، قوة رائدة في التشويش. (المترجم من ويكيبيديا)

مواجهة مباشرة مع ظهور النمط التجاري الساعي لسد طلب لا يرحم من رؤوس الأموال البترولية على اللحوم في مرحلة ما بعد التحضر والإنفجارات السكانية بعد عام 1973 في دول الخليج لتفتح هذه الإقتصاديات المزدهرة شهية تجار الماشية ورعاتهم العسكريين والوسطاء وأصحاب الموانئ الرئيسية على طول ساحل البحر الأحمر بفرصًا جديدة ومغرية.

وبحلول الثمانينيات، أدى تسييل الاقتصاد جنبًا إلى جنب مع إضمحلال الأشكال الجماعية (التعاونية) للإنتاج الزراعي، إلى دفع الممارسات الزراعية لصغار المزارعين إلى فترة من التغيير والتكثيف خاصة في الأوقات غير المستقرة بيئيًا والرضوخ لممارسات توفير العمالة، و كمثال تقصير الدورات الزراعية بزيادة المحاصيل الأحادية لإستنفاذ منسوب المياه في الري، أما في صفوف الرعاة تفاقمت ضغوط تكاليف نقدية مماثلة بسبب فقدان حقوق المراعي والمياه بسبب انتشار مخططات الزراعة الآلية الضخمة، وفي بعض الأماكن لإستيطان المزارعين على ضفاف الأنهر وعلى غرار تكثيف زراعة الكفاف، كان هناك تحول تعويضي من إدارة الثروة الحيوانية المتوازنة بيئيا إلى أشكال تكوين القطيع الأكثر تجارية، أي الموجهة نحو التصدير مما عنى التركيز المتزايد على الأغنام سريعة النضج نسبيًا.

إضافة لما سبق هنالك أيضا تاريخ طويل في الصومال والسودان من حرمان المزارعين "البانتو[8]" Somali Bantus و"الأفارقة" على التوالي، من أي حقوق مدنية أو سياسية. وقد أدت الحرب الأهلية الاجتماعية المتفاقمة في كلا البلدين إلى ظهور تنافس في مطالبات الملكية، وممارسات إقصائية، بل وحتى تأكيدات على التفوق العرقي، و بالنسبة للمنتصرين، فإن أولئك الذين تم تجريدهم من ممتلكاتهم وتشريدهم وقتلهم هم من الوافدين الجدد أو المتطفلين أو المرتدين الذين ليس لهم أي حقوق بأي

هوامش الترجمة:

[8] Somali Bantus & Bantus:

شعوب البانتو تجمع عرقي لغوي يضم حوالي 400 مجموعة عرقية أفريقية أصلية متميزة. لغتهم بتمايز متوطنة في 24 دولة منتشرة على مساحة واسعة من وسط أفريقيا إلى جنوب شرق أفريقيا وإلى الجنوب الأفريقي. البانتو الصوماليون (المعروفون أيضًا باسم غوشا، أو جاريروين محليًا) هم مجموعة أقلية عرقية من البانتو في الصومال يقيمون بشكل أساسي في الجزء الجنوبي من البلاد، بالقرب من نهري جوبا وشبيلي. البانتو الصوماليون هم أحفاد الشعوب المستعبدة من مختلف مجموعات البانتو العرقية من جنوب شرق أفريقيا، وخاصة من موزمبيق وملاوي وتنزانيا.علما بان تجارة الرقيق في شرق أفريقيا استمرت حتى أوائل القرن العشرين.

حال وقد أدى تراجع التنمية الناتج عن ذلك إلى خلق جحيم حديث و حي، حيث لا يمكن أن تصبح الحياة أرخص و يكون قتلها أكثر سهولة من هذه الطريقة أو في حال النجاة تصبح معرضة لأشكال جديدة من الاسترقاق والعبودية.[9]

وبحلول وقت غزو المنظمات غير الحكومية للقرن الأفريقي في منتصف الثمانينيات، متزامنا مع انبثاق نمط التراكم الاولي[10] *Mode of Primitive Accumulation* للنيوليبرالية، فإن السر الداخلي لهذا الشكل المدمر للغاية من التراكم الاولي هو تحويل علاقات تبادلية السابقة بين المزارعين والرعاة إلى علاقة حرب دائمة و مع وجود آثار أوسع بكثير لحرب أهلية إجتماعية قام العاملون في المجال الإنساني بتطبيعها - لخدمة مصالحهم الذاتية - بتبريرها على أنها نتيجة حتمية للندرة والجهل والضغط البيئي.

وإستناداً إلى مبدأ الشراء بسعر رخيص والبيع بسعر مرتفع، هنالك تقارب تاريخي بين رأس المال التجاري و خامة العنف لكي يستخرج التجار الثروة القابلة للتداول بأقل تكلفة ممكنة، يمكن أن يشمل ذلك السرقة والابتزاز والرشوة وهي معلومات لم يتم التحقق منها بعد.

وبالتالي يمكن القول بإن عنف الجيش والميليشيات هو الوسيلة الرئيسية لتحفيز وتشكيل الحروب الأهلية الإجتماعية بين المزارعين والرعاة في القرن الإفريقي كأداة لإقتصاد إستخراجي قاتل. وليس من قبيل المصادفة أن القوى الإمبريالية أضفت الشرعية مراراً وتكراراً عندما تقترح التفاوض سلام على ما لا يتعدى مجرد رجال عصابات مسلحين

هوامش الترجمة:

[9] On modern slavery العبودية الجديدة او الحديثة

تشير تقديرات منظمة العمل الدولية التابعة للمم المتحدة International Labor Organization ، وعلى حسب تعريفاتها لمصطلح العبودية الجديدة، إلى أن أكثر من 40 مليون شخص يعيشون في شكل من أشكال العبودية اليوم. ويعمل نحو 24.9 مليون شخص في العمل القسري، منهم 16 مليون شخص يتم استغلالهم في القطاع الخاص مثل العمل المنزلي أو البناء أو الزراعة، و4.8 مليون شخص في الاستغلال الجنسي القسري، و4 ملايين شخص في العمل القسري الذي تفرضه سلطات الدولة. وهناك 15.4 مليون شخص إضافي في حالة زواج قسري.

[10] Primitive Accumulation:

يشرح الباحث الماركسي ديفيد هارفي David Harvey التراكم البدائي لماركس كعملية "تنطوي بشكل أساسي على الاستيلاء على الأرض، على سبيل المثال، وتطويقها، وطرد السكان المقيمين لإنشاء بروليتاريا "العمالة" و التي اصبحت لا تملك أرضًا، ثم إدخال الأرض في التيار الرئيسي المخصخص لتراكم رأس المال".

يمكننا فهم المصطلح بشكل اكثر في قالبه التاريخي حيث كان منطلقا من اختلاف جوهري بين ماركس و المنظر الاقتصادي ادم سميث و الذي سبق تنظيره الاقتصادي ميلاد ماركس بمائة عام. حيث ان منشا الاصطلاح نفسه اي التراكم البدائي و على حسب وصف سميث بانه "عملية سلمية عمل فيها بعض العمال باجتهاد أكثر من غيرهم وقاموا ببناء الثروة تدريجيًا، مما أدى في النهاية إلى قبول العمال الأقل اجتهادًا بأجورًا كافية مقابل عملهم نفسه". و رفض كارل ماركس هذا الوصف مشبها له بالطفولية التافهة لإغفالها الدور المهم للعنف من خلال الحروب والاستعباد و عمليات الغزو في كاليات تراكم تاريخي للأرض ومن ثم الثروة بالاساس.

أو مشاريع "إعادة بناء" لما يصطلح بالدول الفاشلة *Failed States*[11] بينما و بتواطؤ تام يغضون البصر فيما يتعلق بالمحافظة على آثار حدود عنفوان الحوجة الغذائية بالخليج.

لقد كانت الحرب الأهلية الإجتماعية في الصومال والإبادة الجماعية التي طال أمدها في دارفور، بعد مرور عقد من الزمان أو نحو ذلك، بمثابة علامة فارقة على تعزيز آلية عسكرية جديدة للحصول على الماشية ورعيها، وخاصة الأغنام.

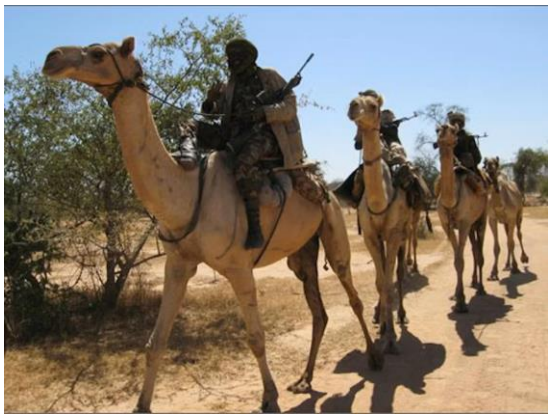

تم تنفيذ هذا العنف في البداية من خلال ميليشيات تركب الجمال والخيول من الرعاة المهمشين في كلا البلدين، وسرعان ما حولت الأرباح الناتجة عن بيع الحيوانات المسروقة من المزارعين غير المؤهلين أو فاقدي أهلية التمثيل سياسيًا، إلى أساطيل من الدراجات النارية و"المركبات التقنية" من تويوتا، كشاحنات صغيرة محملة بمدافع رشاش ثقيلة،

لتسهيل تطهير الأراضي بعيدة المدى و بسرعة وقد أدت هذه التطهيرات الدموية إلى تحرير الأراضي وإمدادات مياه الآبار الآلية، مما سهل هذا التوسع القسري تربية مزيدا من الأغنام.

هوامش الترجمة:

[11] failed state:

الدولة الفاشلة : هي الدولة التي فقدت قدرتها على الوفاء بوظائفها الأمنية والتنموية الأساسية، وتفتقر إلى السيطرة الفعالة على أراضيها وحدودها. الخصائص المشتركة للدولة الفاشلة تشمل الحكومات غير القادرة على تحصيل الضرائب، وإنفاذ القانون، وضمان الأمن، والسيطرة الإقليمية على حدودها، أوالموظفين السياسيين أو المدنيين وصيانة البنية التحتية. وعندما يحدث هذا، فمن المرجح أن ينتشر الفساد والإجرام على نطاق واسع، وتدخل الجهات الحكومية وغير الحكومية، وظهور اللاجئين والحركة غير الطوعية للسكان، والتدهور الاقتصادي الحاد، والتدخل العسكري من داخل الدولة وخارجها. (ترجمة التعريف من ويكيبيديا)

ختاما:

على مدى العقود الثلاثة أو الأربعة الماضية، إلى جانب الإمدادات للمساعدة في الحفاظ على النمو الحضري في منطقة الخليج، أدت تربية الماشية العسكرية إلى طرد ملايين الأشخاص و نزوحهم بشكل دائم وبغض النظر عن تضخم صفوف المهاجرين المعتمدة على صيغ عقودات قصيرة الأجل و إقتصادات الوظائف المؤقتة [12] *Gig Economics* واذدهار اقتصاديات الظل العالمية [13] *Shadow Economics*، يظل أولئك النازحون عالقين بالداخل يكافحون من أجل البقاء من خلال العمل الزراعي غير المربح، وإقتصاد غير مهيكل حول المدن (الاعمال الهامشية أو غير الرسمية)، أوالتحويلات الإلكترونية المتفرقة للمنظمات غير الحكومية للمبالغ النقدية الرمزية (غير المولدة لمصدر دخل يعتمد عليه) أوالصدقات العينية من حين لآخر خلال فترات "الجفاف" و"المجاعة" المعلن عنها رسميًا، بينما يقيم العديد منهم في مخيمات ممولة دولياً للنازحين واللاجئين ولكنها لا تحظى بحماية كافية، وكما يتجلى في تجربة إنتاج الموز والصمغ العربي في الصومال والسودان، فإن مراكز التركيز هذه يمكن فهمها بشكل أفضل على أنها معسكرات توفر عمالة للعمل بالسخرة.

وبدلاً من الاستناد فقط في تحليل الأزمة على التخلف التنموي، أو الحكام الفاسدين الطائشين، أو تغير المناخ، فإن جذور الأزمة في القرن الأفريقي تكمن في الكيفية التي يتم بها نهب ثروات شعوبه على المستوى الدولي، ولسوء الحظ، يبدو أن هذه الأزمة في طريقها إلى التعمق، ومع تفتت السودان الآن، إختفت أية ضوابط على النزعة التجارية العنيفة العابرة للحدود الوطنية التي ربما كانت متوفرة في الدول الموحدة. وفي الوقت نفسه، تشرع منطقة الخليج في جولة جديدة من التحضر الأحفوري، ففي نهاية الأمر لا يزال سكانها بحوجة للطعام.

هوامش الترجمة:

[12] Gig Economics:
تُعرّف مصلحة الضرائب الأمريكية اقتصاد الوظائف المؤقتة بأنه "نشاط يكسب فيه الأشخاص دخلاً من خلال توفير العمل أو الخدمات أو السلع حسب الطلب"، غالبًا من خلال تطبيق أو موقع ويب. يتكون هذا المجال من سوق العمل من وظائف مؤقتة وعقودية ووظائف مستقلة

[13] Shadow Economics:
اقتصاد الظل يركز على الأنشطة الاقتصادية الإنتاجية التي عادة ما يتم تضمينها في الحسابات القومية ولكنها تظل مخفية بسبب الأعباء الضريبية أو التنظيمية (أو اقتصاد رمادي وهو مصطلح استخدم في الفضاء العام السوداني لوصف الشركات المملوكة للاجهزة الامنية و القوات المسلحة و الدعم السريع في السودان)

وإنفجرت حرب 15 ابريل

خالص التضامن مع نساء بلادي عموما و نساء دارفور بالاخص. ففي الحروب دوما ما تدفع النساء و الاطفال ثمن الصراعات الأغلى و الأمر...

المترجم[i]

حرب ابريل 2023

[i] ترجمة و تحرير: تهارقا النور
مع الشكر لكل من الصحفي محمد ألامين و الأستاذ حاتم الأنصاري لمساهماتهم في ضبط تعريب المصطلحات في هذه الترجمة.
للتواصل مع المترجم لاي ملاحظات أو تصحيح او اضافات
TaharqaElnour@gmail.com